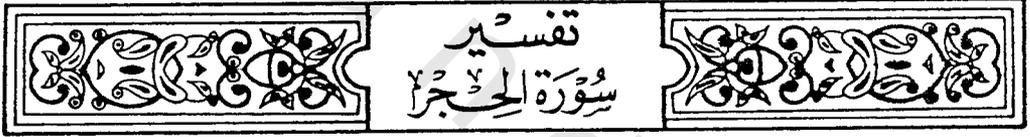


﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾﴾ .  
 ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ أي يوم القيامة ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَفُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَى﴾ [النجم: 31] ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يحتمل أن يكون كقوله تعالى: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنبياء: 1] ويحتمل أنه في حال محاسبته لعبده سريع النجاز، لأنه يعلم كل شيء، ولا يخفى عليه خافية، وإن جميع الخلق بالنسبة إلى قدرته كالواحد منهم، كقوله تعالى: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَيْسٍ وَجِدَةٍ﴾ [لقمان: 28] ويحتمل أن يكون المعنيان مراديين . والله أعلم .

﴿هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَيَلْعَلُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾﴾ .  
 يقول تعالى: ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ﴾ كقوله: ﴿لِيُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: 19] أي هو بلاغ لجميع الخلق من إنس وجن كما قال في أول السورة ﴿كَتَبْنَا أَنْزِلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [إبراهيم: 1] ﴿وَلِيُنذِرُوا بِهِ﴾ أي ليتعظوا به ﴿وَيَلْعَلُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَحِدٌ﴾ أي يستدلوا بما فيه من الحجج والدلالات على أنه لا إله إلا هو ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أي ذوو العقول . والحمد لله رب العالمين .



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ رَبَّمَا يُودُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾ .

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور في أول سورة البقرة. ﴿رَبَّمَا يُودُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾ إخبار عنهم أنهم سيندمون على ما كانوا فيه من الكفر، ويتمنون لو كانوا في الدنيا مسلمين . وقيل: المراد أن كل كافر يود عند احتضاره أن لو كان مؤمناً . وقيل: هذا إخبار عن يوم القيامة كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَأَوْا إِذْ وَقَعُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذَّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنعام: 27] .

﴿ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَسْتَمْتَعُوا وَيَلْهَمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمُونَ ﴿٣﴾﴾ .  
 ﴿ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَسْتَمْتَعُوا﴾ تهديد لهم، ووعيد أكيد، كقوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾

[إبراهيم: 30] وقوله: ﴿كُلُوا وَشَابِعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تَجْرُمُونَ﴾ [المسرات: 46] ولهذا قال ﴿وَلِيَهُمُ الْأَمَلُ﴾ أي عن التوبة والإنابة ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ أي عاقبة أمرهم.

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴿٤٤﴾ مَا نَسِيقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَفْخِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

يخبر تعالى أنه ما أهلك قرية إلا بعد قيام الحجة عليها، وانتهاء أجلها، وأنه لا يؤخر أمة حان هلاكهم عن ميقاتهم ولا يتقدمون عن مدتهم. وهذا تنبيه لأهل مكة وإرشاد لهم إلى الإفلاع عما هم فيه من الشرك والعناد والإلحاد الذي يستحقون به الهلاك.

﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٤٦﴾﴾.

يخبر تعالى عن كفرهم وعنادهم في قولهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ أي الذي تدعي ذلك ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ أي في دعائك إيانا إلى اتباعك، وترك ما وجدنا عليه آباءنا.

﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

﴿لَوْ مَا﴾ أي هلا ﴿تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ﴾ أي يشهدون لك بصحة ما جئت به، كما قال فرعون ﴿قُلْ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيَّ آيَاتُ رَبِّي مِنْ سَمَاءٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَكُ مَقْرَّبِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الزخرف: 53] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا ﴿٦١﴾﴾ [الفرقان: 21].

﴿مَا نُنزِّلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنظَرِينَ ﴿٤٨﴾﴾.

وقال في هذه الآية: ﴿مَا نُنزِّلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنظَرِينَ ﴿٤٨﴾﴾ وقوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالرسالة وللعذاب.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

ثم قرر تعالى أنه هو الذي أنزل عليه الذكر، وهو القرآن، وهو الحافظ له من التغيير والتبديل. ومنهم من أعاد الضمير في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ على النبي ﷺ، كقوله: ﴿وَاللَّهُ يَمِصُّكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [الأنبياء: 67] والمعنى الأول أولى وهو ظاهر السياق.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَجْعِ الْأَوَّلِينَ ﴿٥٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ

يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥١﴾﴾.

يقول تعالى مسلياً لرسوله ﷺ في تكذيب من كذبه من كفار قريش: إنه أرسل من قبله من الأمم الماضية، وإنه ما أتى أمة من رسول إلا كذبوه واستهزؤوا به.

﴿كَذَلِكَ نَسُكُّكُمْ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾ .

ثم أخبر أنه سلك التكذيب في قلوب المجرمين الذين عاندوا واستكبروا عن اتباع الهدى وقوله: ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي قد علم ما فعل تعالى بمن كذب رسله من الهلاك والدمار، وكيف أنجى الأنبياء وأتباعهم في الدنيا والآخرة.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾﴾ .

يخبر تعالى عن قوة كفرهم وعنادهم ومكابرتهم للحق أنه لو فتح لهم باباً من السماء فجعلوا يصعدون فيه .

﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾ .

لما صدقوا بذلك، بل ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ سدت أبصارنا، أو أخذت، قال ابن عباس: شبه علينا، وإنما سحرنا.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾﴾ .

يذكر تعالى خلقه السماء في ارتفاعها، وما زينها به من الكواكب الثوابت والسيارات، لمن تأمل وكرر النظر فيما يرى من العجائب، والآيات الباهرات ما يحار نظره فيه. قال مجاهد وقتادة: البروج ههنا هي الكواكب، وهذا كقوله تعالى: ﴿نَبَارِكُ الَّذِي يَجْعَلُ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ [الفرقان: 61] ومنهم من قال: البروج هي منازل الشمس والقمر.

﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ .

﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ جعل الشهب حرساً لها من مردة الشياطين لئلا يسمعوا إلى الملائكة الأعلى، فمن تمرد وتقدم منهم لاستراق السمع جاءه شهاب مبين فأثقله، فربما يكون قد ألقى الكلمة التي سمعها قبل أن يدركه الشهاب إلى الذي هو دونه فيأخذه الآخر ويأتي به إلى وليه كما جاء مصرحاً في الصحيح.

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾﴾ .

ثم ذكر تعالى خلقه الأرض، ومدّه إياها، وتوسيعها وبسطها، وما جعل فيها من الجبال الرواسي، والأودية والأراضي والرمال، وما أنبت فيها من الزروع والثمار المتناسبة ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ أي معلوم، أو مقدر بقدر.

﴿وَجَعَلْنَا لِكُلِّ فِيهَا مَعِيشٍ وَمَنْ لَسْتُمْ لَكُمْ بَرَزِقِينَ ﴿٢٠﴾﴾ .

﴿وَجَعَلْنَا لِكُلِّ فِيهَا مَعِيشٍ﴾ يذكر تعالى أنه صرفهم في الأرض في صنوف الأسباب والمعاش، وهي جمع معيشة. وقوله: ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَكُمْ بَرَزِقِينَ﴾ قال مجاهد: هي الدواب والأنعام، والقصد أنه تعالى

يمتن عليهم بما يسر لهم من أسباب المكاسب، ووجوه الأسباب، وصنوف المعاش، وبما سخر لهم من الدواب التي يركبونها، والأنعام التي يأكلونها، والعبيد والإماء التي يستخدمونها، ورزقهم على خالقهم لا عليهم، فلهم المنفعة، والرزق على الله.

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ .

يخبر تعالى أنه مالك كل شيء، وأن كل شيء سهل عليه، يسير لديه، وأن عنده خزائن الأشياء من جميع الصنوف ﴿وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ كما يشاء، وكما يريد، ولما له في ذلك من الحكمة البالغة، والرحمة بعباده، لا على جهة الوجوب، بل هو كتب على نفسه الرحمة.

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا كُنُوزَهُ وَمَا أَنْشَرْنَاهُمْ إِلَّا بِمِغْرَابٍ مَقْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾ .

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾ أي تلعق السحاب فتدر ماء، وتلعق الشجر فتفتح عن أوراقها وأكمامها، ﴿فَأَنْبَتْنَا كُنُوزَهُ﴾ أي أنزلناه لكم عذبا، يمكنكم أن تشربوا منه، و﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾ [الواقعة: 70] وقوله: ﴿وَمَا أَنْشَرْنَاهُمْ إِلَّا بِمِغْرَابٍ مَقْنُونٍ﴾ بمانعين، أو وما أنتم له بحافظين، بل نحن ننزله ونحفظه عليكم، ونجعله معينا وينابيع في الأرض، ولو شاء تعالى لأغاره وذهب به، ولكن من رحمته أنزله، وجعله عذبا، وحفظه في العيون والآبار والأنهار وغير ذلك، ليبقى لهم طول السنة يشربون ويسقون أنعامهم وزروعهم وثمارهم.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾ .

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ﴾ إخبار عن قدرته تعالى على بدء الخلق، وإعادته، وأنه هو الذي أحيا الخلق من العدم، ثم يميتهم، ثم يعيدهم كلهم ليوم الجمع، وأخبر أنه تعالى يرث الأرض ومن عليها وإليه يرجعون.

﴿وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ بِحَشْرِهِمْ لَأَنَّهُ حَكِيمٌ

عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ .

ثم أخبر تعالى عن تمام علمه بهم أولهم وآخرهم فقال: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ﴾ ولقد علمنا المستأخريين والمستقدمون كل من هلك من لدن آدم ﷺ والمستأخرون هو من حيي ومن سيأتي إلى يوم القيامة. روى ابن جرير أنه قد كان أناس يستأخرون في الصفوف من أجل النساء فأنزل ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ...﴾ أو هو في الصفوف في الصلاة.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾ .

المراد بالصلصال ههنا التراب اليابس، أو المنتن ﴿مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ أي الصلصال من حمأ وهو العلين، والمسنون الأملس، أو المسنون المصبوب.

﴿وَلَبَّانَ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ (١٧).

﴿وَلَبَّانَ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي من قبل الإنسان ﴿مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ قال ابن عباس: هي السموم التي تقتل، وقال بعضهم: السموم بالليل والنهار، ومنهم من قال: السموم بالليل، والحرور بالنهار. وقد ورد في الصحيح: «خلقت الملائكة من نور، وخلقت الجان من نار، وخلق آدم مما وصف لكم». والمقصود من الآية التنبيه على شرف آدم ﷺ، وطيب عنصره، وطهارة محتده.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾ (١٨) ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُمْ وَنَفَخْتُ فِيهِمْ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُمْ سَاجِدِينَ﴾ (١٩) ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ (٢٠) ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ ابْنَ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ (٢١) ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ (٢٢) ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾ (٢٣).

يذكر تعالى تنويهه بذكر آدم في ملائكته قبل خلقه له، وتشريفه إياه بأمر الملائكة بالسجود له، ويذكر تخلف إبليس عدوه عن السجود له من بين سائر الملائكة حسداً وكفراً وعناداً واستكباراً وافتخاراً بالباطل، ولهذا قال: ﴿لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾ كقوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [ص: 76].

﴿قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ (٢٤) ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ (٢٥) ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (٢٦) ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ (٢٧) ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ (٢٨).

يذكر تعالى أنه أمر إبليس أمراً كونياً لا يخالف، ولا يمانع بالخروج من المنزل التي كان فيها الملائكة الأعلى، وأنه رجيم أي مرجوم وأنه قد أتبعه لعنة لا تزال متصلة به، لاحقة له، متواترة عليه إلى يوم القيامة، ولما تحقق الغضب الذي لا مرد له سأل من تمام حسده لآدم وذريته النظرة إلى يوم القيامة، وهو يوم البعث، وأنه أجيب إلى ذلك استدراجاً له، وإمهالاً.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٢٩).

يقول تعالى مخبراً عن إبليس وتمرده وعتوه أنه قال للرب ﴿بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ قال بعضهم: أقسم ياغواء الله له، ويحتمل أنه بسبب ما أغويتني وأضللتنني ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾ أي لذرية آدم ﷺ ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أي أحب إليهم المعاصي وأرغبهم فيها، وأزهم إليها، وأزعجهم إليها إزعاجاً ﴿وَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي كما أغويتني وقدرت عليّ بذلك.

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٣٠).

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ كقوله: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً﴾ [الإسراء: 62].

﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ .

﴿قَالَ﴾ الله تعالى متهدداً ومتوعداً ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ أي مرجعكم كلكم إلي فأجازيكم بأعمالكم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿٤١﴾﴾ [الفجر: 14] وقيل: طريق الحق مرجعها إلى الله، وإليه تنتهي كقوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴿٤١﴾﴾ [النحل: 9].

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ .

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ أي الذين قدرت لهم الهداية، فلا سبيل لك عليهم، ولا وصول لك إليهم ﴿إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ استثناء منقطع .

﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ .

﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ أي جهنم موعد جميع من اتبع إبليس، كما قال عن القرآن: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ [هود: 17].

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ .

ثم أخبر أن لجهنم سبعة أبواب ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ أي قد كتب لكل باب منها جزء من أتباع إبليس يدخلونه لا محيد لهم عنه . أجازنا الله منها، وكل يدخل من باب بحسب عمله، ويستقر في ذلك بحسب عمله .

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾ .

لما ذكر تعالى حال أهل النار عطف على ذكر أهل الجنة، وأنهم في جنات وعيون .

﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَأَمِينٍ ﴿٤٦﴾﴾ .

﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ أي سالمين من الآفات، مسلم عليكم ﴿ءَأَمِينٍ﴾ أي من كل خوف وفزع، لا تخشون من إخراج ولا انقطاع ولا فناء .

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّقْنَصِينَ ﴿٤٧﴾﴾ .

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ...﴾ عن أبي أمامة قال: يدخل أهل الجنة الجنة على ما في صدورهم في الدنيا من الشحناء والضغائن، حتى إذا توافقوا وتقابلوا نزع الله ما في صدورهم في الدنيا من غل، ثم قرأ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾ ﴿مُقْنَصِينَ﴾ لا ينظر بعضهم في فقا بعض قاله مجاهد، وفيه حديث مرفوع .

﴿لَا يَسْأَلُهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ .

﴿لَا يَسْأَلُهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ يعني المشقة والأذى كما جاء في الصحيحين: «إن الله أمرني أن أبشر

خديجة بيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب». وقوله: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ كما جاء في الحديث «يقال: يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تمرضوا أبداً، وإن لكم أن تعيشوا فلا تخوفوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تقيموا فلا تظعنوا أبداً». وقال تعالى: ﴿خَلِيلِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: 108].

﴿نَبِيٌّ عَبَادِيَ اتَّبَعُوا أَنَا الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [٤٩] وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [٥٠].  
 ﴿أَتَىٰ أَنَا الْعَفُورُ الرَّحِيمُ...﴾ أني ذو الرحمة، وذو العذاب الأليم. عن قتادة قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع من حرام، ولو يعلم العبد قدر عذاب الله لنجع نفسه».

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ [٥١] إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلْنَا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِئُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلَيْكَ﴾ [٥٣].  
 يقول تعالى: وخبرهم يا محمد عن قصة ﴿صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ والضيف يطلق على الواحد والجمع، كالزور والسفر، وكيف ﴿دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلْنَا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِئُونَ﴾ أي خائفون. وقد ذكر سبب خوفه منهم لما رأى أيديهم لا تصل إلى ما قربه إليهم من الضيافة وهو العجل السمين الحنيد ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ﴾ أي لا تخف ﴿وَنَبِّئْهُمْ بِغُلَامٍ عَلَيْكَ﴾ أي إسحاق ﷺ.

﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ بُبَشِّرُونَ﴾ [٥٤].  
 ثم قال متعجباً من كبره وكبر زوجته ومتحققاً للوعد: ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ بُبَشِّرُونَ﴾.  
 ﴿قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [٥٥].  
 فأجابوه مؤكداً لما بشره به تحقيقاً وبشارة بعد بشارة ﴿قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [٥٥].  
 ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [٥٦].

فأجابهم بأنه ليس يقنط، ولكن يرجو من الله الولد، وإن كان قد كبر، وأسنت امرأته، فإنه يعلم من قدرة الله ورحمته ما هو أبلغ من ذلك.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [٥٧] قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آَلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُجْرِبُوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّا لَمِنَ الْغَايِبِينَ﴾ [٦٠].  
 يقول تعالى إخباراً عن إبراهيم ﷺ لما ذهب عنه الروح وجاءته البشري إنه شرع يسألهم عما جاؤوا له فقالوا: ﴿إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ يعنون قوم لوط، وأخبروه أنهم سينجون آل لوط من بينهم إلا امرأته فإنها من الهالكين، ولهذا قالوا: ﴿إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّا لَمِنَ الْغَايِبِينَ﴾ [٦٠] أي الباقين المهلكين.

﴿فَلَمَّا جَاءَ آءَالَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَيُّنَا بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾﴾ .

يخبر تعالى عن لوط لما جاءتته الملائكة في صورة شباب حسان الوجوه فدخلوا عليه داره قال: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ يعنون بعدابهم وهلاكهم ودمارهم الذي كانوا يشكون في وقوعه بهم، وحلوله بساحتهم ﴿وَأَيُّنَا بِالْحَقِّ﴾ كقوله تعالى ﴿مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الحجر: 8] وقوله ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ تأكيد لخبرهم إياه بما أخبروه به من نجاة وإهلاك قومه .

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْبُثْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَآمَضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾ .

يذكر تعالى عن الملائكة أنهم أمروه أن يسري بأهله بعد مضي جانب من الليل، وأن يكون لوط عليه السلام يمشي وراءهم ليكون أحفظ لهم، وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي في الغزو، إنما يكون ساقه، يزجي الضعيف، ويحمل المنقطع . وقوله: ﴿وَلَا يَلْبُثْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ أي إذا سمعتم الصيحة بالقوم فلا تلتفتوا إليهم، وذروهم فيما حل بهم من العذاب والنكال ﴿وَآمَضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ كأنه كان معهم من يهديهم السبيل .

﴿وَفَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمَرَ أَنْ دَايرَ هَتُولَاءَ مَقْطُوعٌ مُصْحِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾ .  
﴿وَفَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمَرَ﴾ أي تقدمنا إليه في هذا ﴿أَنْ دَايرَ هَتُولَاءَ مَقْطُوعٌ مُصْحِحِينَ﴾ أي وقت الصباح كقوله في الآية الأخرى ﴿إِنْ مَوْعِدُهُمُ الصُّبْحُ النَّسُّ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [مرد: 81] .

﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَتُولَاءَ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾﴾ .  
يخبر تعالى عن مجيء قوم لوط لما علموا بأضيافه وصباحة وجوههم، وأنهم جاؤوا مستبشرين بهم فرحين ﴿قَالَ إِنَّ هَتُولَاءَ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾﴾ و﴿وَأَقْرَأُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾﴾ وهذا إنما قاله لهم قبل أن يعلم أنهم رسل الله .

﴿وَأَقْرَأُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكْ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَتُولَاءَ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَعَالِينَ ﴿٧١﴾﴾ .

قالوا مجيبين له ﴿أَوْلَمْ نَنْهَكْ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ أي أو ما نهيناك أن تضيف أحدا؟ فأرشدهم إلى نسانهم، وما خلق لهم ربهم منهن من الفروج المباحة . هذا كله وهم غافلون عما يراد بهم، وما قد أحاط بهم من البلاء، وماذا يصبحهم من العذاب المستقر، ولهذا قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم: ﴿لَعَنَّاكَ إِيَّاهُمْ لَمَّا سَكَرْتَهُمْ بِعَقْمِهِمْ ﴿٧٢﴾﴾ [الحجر: 72] أقسم تعالى بحياة نبيه صلوات الله وسلامه عليه، وفي

هذا تشريف عظيم، ومقام رفيع، وجاه عريض. عن ابن عباس قال: ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره. يقول الله، وحياتك وعمرك وبقائك في الدنيا إنهم لفي ضلالهم يعمهون أي يلعبون، أو يترددون.

﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُثْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّا لِلسَّبِيلِ لَمُصْبِحٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

يقول تعالى: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ﴾ وهي ما جاءهم من الصوت القاصف عند شروق الشمس، وهو طلوعها، وذلك مع رفع بلادهم إلى عنان السماء، ثم قلبها، وجعل عاليها سافلها، وإرسال حجارة السجيل عليهم. وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾ أي إن آثار هذه النقم لظاهرة على تلك البلاد لمن تأمل ذلك وتوسمه بعين بصره وبصيرته ﴿لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾ المتفرسين، أو للناظرين، أو للمعتبرين، أو للمتأملين. روى ابن أبي حاتم عن رسول الله ﷺ «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»، ثم قرأ النبي ﷺ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾ ورواه الترمذي وابن جرير. وقوله: ﴿وَإِنَّا لِلسَّبِيلِ لَمُصْبِحٍ ﴿٧٦﴾﴾ أي وإن قرية «سدوم» التي أصابها ما أصابها من القلب الصوري والمعنوي والقذف بالحجارة حتى صارت بحيرة منتنة خبيثة بطريق مهب، مسالكة مستمرة إلى اليوم، كقوله: ﴿وَإِنَّا لَنُرَوِّنَّكَ لَمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٦﴾﴾ وبِالْبَلِّ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الصافات: 137 - 138]. وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾ أي إن الذي صنعنا لوط من الهلاك والدمار، وإنجائنا لوطاً وأهله للدلالة واضحة جلية للمؤمنين بالله ورسوله.

﴿وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَأَنْقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾.

أصحاب الأيكة هم قوم شعيب. والأيكة الشجر الملتف، وكان ظلمهم بشركهم بالله، وقطعهم الطريق، ونقصهم المكيال والميزان فانتقم الله منهم بالصيحة والرجفة وعذاب يوم الظلة، وقد كانوا قريباً من قوم لوط بعدهم، في الزمان، ومسامتين لهم في المكان، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ أي طريق مبين أي ظاهر، ولهذا لما أنذر شعيب قومه قال في نذرته إياهم: ﴿وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ بِمَعِينٍ﴾ [هود: 89].

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٥﴾ وَآيَاتِنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَحِجُّونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾﴾.

أصحاب الحجر ثمود الذين كذبوا صالحاً نبياً ﷺ، ومن كذب برسول فقد كذب بجميع المرسلين، ولهذا أطلق عليهم تكذيب المرسلين، وذكر تعالى أنه آتاهم من الآيات ما يدلهم على صدق ما جاءهم به صالح كالناقة التي أخرجها الله لهم بدعاء صالح من صخرة صماء، وكانت تسرح

في بلادهم، لها شرب ولهم شرب يوم معلوم، فلما عتوا وعقروها قال لهم ﴿تَمَتُّوْا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعَدُوٌّ كَثُوْبٌ﴾ [هود: 65] وذكر تعالى أنهم ﴿رَكَوْنَا بِتَجْوَنَ مِنَ اللَّيَالِ بِيُوْتًا ؕ أَمِينٌ﴾ ﴿٨٢﴾ أي من غير خوف ولا احتياج إليها، بل أشراً وبطراً وعبثاً، كما هو المشاهد من صنعهم في بيوتهم بوادي الحجر الذي مر به رسول الله ﷺ وهو ذاهب إلى تبوك، ففنع رأسه، وأسرع دابته وقال لأصحابه: «لا تدخلوا بيوت المعذنين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تبكوا فتباكوا خشية أن يصيبكم ما أصابهم». وقوله: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ﴾ ﴿٨٣﴾ أي وقت الصباح من اليوم الرابع ﴿فَأَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَآ كَانُوْا يَكْسِبُوْنَ﴾ ﴿٨٤﴾ أي ما كانوا يستغلونه من زروعهم وثمارهم التي ضنوا بمائها عن الناقة حتى عقروها لثلا تضيق عليهم في المياه فما دفعت عنهم تلك الأموال، ولا نفعتهم لما جاء أمر ربك.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآيَةٌ فَاصِّحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلِ﴾ ﴿٨٥﴾ .

﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآيَةٌ﴾ أي بالعدل ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَقِّ﴾ [النجم: 31] ثم أخبر الله نبيه بقيام الساعة وأنها كائنة لا محالة، ثم أمره بالصفح الجميل عن المشركين في أذاهم له، وتكذيبهم ما جاء به، كقوله: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلِّمْ﴾ [الزخرف: 89].

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٨٦﴾ .

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٨٦﴾ هذا تقرير للمعاد، وأنه تعالى قادر على إقامة الساعة، فإنه الخلاق الذي لا يعجزه شيء العليم بما تمزق من الأجساد، وتفرق في سائر أقطار الأرض، كقوله ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٨٦﴾ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٨٧﴾ [يس: 81-83].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ﴾ ﴿٨٧﴾ .

يقول تعالى لنبيه ﷺ: كما آتيناك القرآن العظيم، فلا تنظرن إلى الدنيا وزينتها، وما متعنا به أهلها من الزهرة الفانية لفتنتهم فيه، فلا تغبطهم بما هم فيه، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات حزناً عليهم في تكذيبهم لك، ومخالفتهم دينك ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: 88] أي أَلن لهم جانبك. قال جماعة: السبع المثاني هي السبع الطول، يعنون البقرة، وآل عمران والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس. بين فيهن الفرائض والحدود والقصص والأحكام والأمثال والخبر والعبر. وقال جماعة: هي الفاتحة، هي سبع آيات، والبسمة هي الآية السابعة. وفي البخاري عن أبي سعيد بن المعلى قال: مر بي النبي ﷺ، وأنا أصلي فدعاني، فلم آته حتى صليت فأتيت، فقال: «ما منعك أن تأتيني؟» فقلت: كنت أصلي، فقال: «ألم يقل الله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ

وَلِرَسُولٍ إِذَا دَعَاكُمْ ﴿[الأنفال: 24] أَلَا أَعْلَمُكَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ أُخْرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ؟﴾  
 فَذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ لِيُخْرِجَ فَذَكَرَتْ فَقَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة: 2] هِيَ السَّبْعُ  
 الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ. وَفِي الْبُخَارِيِّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُمُّ الْقُرْآنِ هِيَ السَّبْعُ  
 الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ».

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ  
 لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ .

أَيَّ اسْتَغْنَى بِمَا آتَاكَ اللَّهُ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْمَتَاعِ وَالزُّهْرَةَ الْفَانِيَةَ، وَمَنْ هُنَا ذَهَبَ ابْنُ  
 عِيْنَةَ إِلَى تَفْسِيرِ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ (لَيْسَ مِنْهُ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ) إِلَى أَنَّهُ يَسْتَعْنِي بِهِ عَمَّا عَدَاهُ، وَهُوَ  
 تَفْسِيرٌ صَحِيحٌ، وَلَكِنْ لَيْسَ هُوَ الْمَقْصُودُ مِنَ الْحَدِيثِ. رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَبِي رَافِعٍ صَاحِبِ  
 النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ضَافَ النَّبِيُّ ﷺ ضَيْفٌ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ شَيْءٌ يَصِلُحُهُ، فَأَرْسَلَ إِلَى رَجُلٍ  
 مِنَ الْيَهُودِ «يَقُولُ لَكَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ: أَسْلَفْنِي دَقِيقًا إِلَى هَلَالِ رَجَبٍ» قَالَ: لَا، إِلَّا بَرَهْنًا، فَأَتَيْتِ  
 النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتَهُ فَقَالَ: «أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَمِينٌ مِنَ فِي السَّمَاءِ، وَأَمِينٌ مِنَ فِي الْأَرْضِ، وَلِئِنْ أَسْلَفْنِي  
 أَوْ بَاعَنِي لِأَوْدِينَ إِلَيْهِ» فَلَمَّا خَرَجْتَ مِنْ عِنْدِهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا  
 مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثْنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه: 131] كَأَنَّهُ يَعْزِيهِ عَنِ الدُّنْيَا. عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾  
 قَالَ: نَهَى الرَّجُلَ أَنْ يَتَمَنَّى مَا لِمُصَاحِبِهِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾  
 هُمُ الْأَغْنِيَاءُ.

﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾﴾ .

يَأْمُرُ تَعَالَى نَبِيَّهُ أَنْ يَقُولَ لِلنَّاسِ: ﴿إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ الْبَيِّنُ النَّذَارَةَ، نَذِيرٌ لِلنَّاسِ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ  
 أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ عَلَى تَكْذِيبِهِ كَمَا حَلَّ بِمَنْ تَقَدَّمَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَكْذُوبَةَ لِرُسُلِهَا، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ  
 الْعَذَابِ وَالْإِنْتِقَامِ.

﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ .

﴿الْمُقْتَسِمِينَ﴾ أَيُّ الْمُتَحَالِفِينَ، عَلَى مَخَالَفَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَتَكْذِيبِهِمْ وَأَذَاهُمْ.

﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ .

﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ هُمُ أَهْلُ الْكِتَابِ جَزَّوُوا كِتَابَهُمُ الْمُنَزَّلَةَ عَلَيْهِمْ، فَأَمَّنُوا بَعْضُ،  
 وَكَفَرُوا بَعْضُ. أَوْ جَعَلُوا الْقُرْآنَ أَصْنَافًا.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ .

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ...﴾ يُسْأَلُ الْعِبَادُ كُلُّهُمْ عَنِ خَلْقِيْنِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ: عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَعَمَّا إِذَا  
 أَجَابُوا الْمُرْسَلِينَ.

﴿فَأَصَدَعَ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٩٤).

يقول تعالى أمراً رسوله ﷺ بإبلاغ ما بعثه به، وبإنفاذه، والصدع به، وهو مواجهة المشركين به. قال مجاهد هو الجهر بالقرآن في الصلاة. عن عبد الله بن مسعود: ما زال النبي ﷺ مستخفياً حتى نزلت ﴿فَأَصَدَعَ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ فخرج هو وأصحابه. ﴿وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (٩٥).

أي بلغ ما أنزل إليك من ربك، ولا تلتفت إلى المشركين الذين يريدون أن يصدوك عن آيات الله، ولا تخفهم، فإن الله كافيك إياهم، وحافظك منهم ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: 67].

﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٩٦).

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ تهديد شديد، ووعد أكيد لمن جعل مع الله معبوداً آخر.

﴿وَلَقَدْ نَعَّمْنَاكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ (٩٧) ﴿فَسَبَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (٩٨).

أي وإنا لنعلم يا محمد أنك يحصل لك من أذاهم ضيق صدر وانقباض، فلا يشينك ذلك عن إبلاغ رسالة الله، وتوكل عليه فإنه كافيك وناصرك عليهم، فاشتغل بذكر الله وتحميده وتسيبحة وعبادته التي هي للصلاة، ولهذا قال: ﴿فَسَبَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ ولهذا كان رسول الله ﷺ إذا حُرِّمَ به أمر صلى.

﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (٩٩).

﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (٩٩) الموت، وفي الصحيح عن أم العلاء امرأة من الأنصار أن رسول الله ﷺ لما دخل على عثمان بن مظعون، وقد مات، قالت أم العلاء: رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله، فقال رسول الله ﷺ: «وما يدريك أن الله أكرمك؟» فقالت: بأبي وأمي يا رسول الله فمن؟ فقال: «أما هو فقد جاءه اليقين وإنني لأرجو له الخير». ويستدل بهذه الآية الكريمة ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (٩٩) على أن العبادة كالصلاة ونحوها واجبة على الإنسان ما دام عقله ثابتاً، فيصلي بحسب حاله، كما ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب». ويستدل بها على تخبطها من ذهب من الملاحظة إلى أن المراد باليقين المعرفة، فمتى وصل أحدهم إلى المعرفة سقط عنه التكليف عندهم، وهذا كفر وضلال وجهل، فإن الأنبياء ﷺ كانوا هم وأصحابهم أعلم الناس بالله، وأعرفهم بحقوقه، وكانوا مع هذا أعبد وأكثر الناس عبادة، ومواظبة على فعل الخيرات إلى حين الوفاة، وإنما المراد باليقين هنا الموت.